

مُفْرَغِينَ مِنَ الْحَلْمِ وَالْفَعْلِ ،
 كَانَ شَرَارُ الظَّهِيرَةِ يَمْتَدُّ نَارًا
 وَمَوْتًا مِثَارًا

إِلَى الْجَسْرِ ،
 وَالنَّهْرِ كَانَ يَجْفُ ، يَجْفُ ،
 وَيَلْتَفُّ فِي بَرْدَةٍ مِنْ حِدَادٍ
 وَيَحْضُنُ صَفْصَافَةً وَهِيَ تَبْكِي ،
 تُغْنِي الْبِعَادَ

وَتَسْقُطُ أَوْرَاقَهَا ،
 وَطَرَوَادَةُ الْقَلْبِ غَارِقَةٌ فِي الْحِصَارِ ،
 وَنَهْبٌ لَسِيلِ الْجِرَادِ
 فَمَاذَا تَقُولُ الْجِبَالُ وَأَحْرَاشُهَا وَالْوَهَادُ
 وَمَاذَا يَقُولُونَ .. مَاذَا ؟
 — يَمْدُونَ عَمَرَ احْتِضَارِكِ هَذَا النَّبِيلَ بِمَا ،
 وَهَبُوا مِنْ فَنُونَِ الْخُطْبِ
 وَيَنْسُونَ ،
 يَنْسُونَ حَتَّى الْغَضْبِ .

* * *

مِرَاسِيمٌ قَهْرِكِ جَارِيَةٌ ،
 إِنَّهُمْ يَتْرَكُونَكَ وَحْدَكَ فِي سَاعَةِ الطَّلْقِ ،
 يُلْقُونَ بِاللَّوْمِ — زُورًا — عَلَى الْقَابِلَةِ .
 سَمِعْتُ الرِّيَّاحَ تَغْنِي :

يَلِيقُ الْحِدَادُ بِحَيْفَا
 يَلِيقُ بِهَا كُلُّ سِجْنٍ وَمَنْفَى
 يَلِيقُ الْحِدَادُ بِأَفْرَاسِهَا الْحَمْرَ وَالْقَافِلَةَ .